حوليـــات

جــامعة الجزائـر

العدد 20 . الجزء 2

ديسمبر 2011

الرئيس الشرفي:

د.طاهر حجار: مدير جامعة الجزائر1

بن يوسف بن خدة

مدير المجلة ومسؤول النشر:

د. حميد بن شنيتي:

نائب مدير

الجامعة للتكوين العالي في

ما بعد التدرج والتأهيل الجامعي والبحث

العلمي

مديرة التحرير:

د. باية خوجة لكحل

تصفيف وإخراج:

مصلحة المنشورات، نيابة مديرية الجامعة

للدراسات العليا والبحث العلمي

العنوان:

جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة

02 شارع ديدوش مراد ، الجزائر

الهاتف/ الفاكس

021.63.77.27

البريد الإلكتروني:

hawliyatalger@yahoo.fr

لجنة القراءة

1. بوكرا إدريس	كلية الحقوق
2. فيلالي علي	كلية الحقوق
3. بن ناصر أحمد	كلية الحقوق
4. سلامي عزيز	كلية العلوم الإسلامية
5. عمار جيدل	كلية العلوم الإسلامية
6. يوسف حسين	كلية العلوم الإسلامية
7. محمد الأمين بلغيث	كلية العلوم الإسلامية
8. محمود بن علي عبد الله	كلية الطب
9. سليم بابا عمر	كلية الآداب واللغات
10. منى علام	كلية الآداب واللغات
12. أنيسة العسكري	كلية العلوم الاقتصادية
13. بلالطة مبارك	كلية العلوم الاقتصادية
14. رشيد بوسعادة	كلية العلوم الاجتماعية
15. بن روان بلقاسم	كلية الإعلام والاتصال
16. عطوي مليكة	كلية الاعلام والاتصال
17. أحمد حمدي	كلية العلوم السياسية

- أهداف المجلة:

تهدف حوليات جامعة الجزائر إلى نشر الانتاج العلمي والفكري لأساتذة الجامعة، وتشجعهم على البحث العلمي والدراسات المعمقة وإتاحة الفرصة لهم للتعامل الفكري والعلمي، خاصة في ميادين القانون والشريعة والطب وكذا المواضيع ذات الصلة بهذه التخصصات ...

تهدف هذه المجلة أيضا إلى إعطاء فرصة لأساتذة الجامعة من أجل نشر بحوثهم حتى يتمكنوا من مناقشة رسائلهم وتقديم ملفاتهم للترقية.

ترتكز اللجنة على المواضيع التالية:

- العلوم القانونية؛

- العلوم الإسلامية؛

- العلوم الطبية؛

- علم الاجتماع والاقتصاد والإعلام والسياسية والتاريخ والأدب والترجمة إذا كانت لها علاقة بالتخصصات المشار إليها.

إن ما يتم نشره مصنف كما يلي:

- مقالات فكرية؛

- بحوث متخصصة؛

- عروض كتب ورسائل؛

- تقارير من المؤتمرات والندوات وأيام دراسية.

قواعد النشر في حوليات جامعة الجزائر I

- **أوّلا**: يشترط في الدراسات والأبحاث المراد نشرها ما يلي:

1. أن تكون متسمة بالعمق والأصالة؛
2. أن يلتزم الباحث بالمنهج العلمي والموضوعية؛
3. أن تكون الهوامش في آخر الدراسة؛
4. أن يتضمن البحث قائمة المراجع التي استخدمت مع ضرورة إعطاء معلومات بيبلوغرافيا كاملة؛
5. أن يكون البحث مكتوبا ببرنامج microsoft وتقدم البحوث مطوعة على وجه واحد من الورق 27/21؛
6. يقدم المقار في نسختين مع قرص مرن (CD)؛
7. أن لا يزيد البحث عن 20 صفحة.
8. أن يقر صاحب البحث أن بحثه لم يرسل للنشر في مجلة أخرى؛
9. على الباحث أن يرفق بحثه بملخص لا يتجاوز صفحة واحدة؛
10. أن لا يكون الباحث مستلا من مطبوعات الدروس المقررة للطلبة، أو جزء من رسالة جامعية؛

- **ثانيا**: تخضع الأعمال المرسلة إلى المجلة للتحكيم قبل نشرها؛
- **ثالثا**: تقوم إدارة المجلة بإخطار أصحاب الأبحاث بالرأي النهائي للمحكمين بخصوص أبحاثهم قبولا أو رفضا أو تعديلا، والهيئة غير ملزمة بتبرير الرفض؛
- **رابعا**: ترتب الموضوعات وفق اعتبارات فنية؛
- **خامسا**: لا يجوز إعادة نشر أي موضوع من موضوعات المجلة، إلا بإذن كتابي من إدارتها؛
- **سادسا**: لا يجوز للباحث أن يسحب بحثه من النشر بعد عرضه على هيئة التحرير إلا لأسباب مقنعة، على أن يكون ذلك قبل إشعار الباحث بالموافقة على نشر إنتاجه؛

- ملاحظات:

- الآراء والأفكار والمقترحات الواردة في المجلة تعبر عن وجهات نظر أصحابها؛

- يحق للجنة القراءة استبعاد المقالات المقدمة للنشر الخاصة بالمجلة؛

- تمنح إدارة مجلة الحوليات لصاحب المقالة المنشورة خمس نسخ من عدد المجلة الذي يتضمن مقاله؛

- ترسل المواد المقدمة للنشر في حوليات وجميع المراسلات الخاصة بالحوليات إلى مصلحة المنشورات بجامعة الجزائر I بن يوسف بن خدة، الهاتف الفاكس: 021.63.77.27.

الفهرس

الافتتاحية . 08

عبد الفتاح تقية/ التشريع الإسلامي، خصائصه ومقاصده. دراسة تحليلية 9

اسماعيل دبش/ العلاقات العربية - الأسيوية - دراسة حالة المغرب العربي مع التركيز على الجزائر.. 77

اسماعيل معراف/ أبعاد التحول الديمقراطي في المنطقة المغاربية. الجزائر نموذجا. 122

عقيلة حسين/ ولاية الدولة في الرقابة على الأوقاف 142

محمد مسباعي/ التغير الاجتماعي وأثره على الإبداع الروائي لنجيب محفوظ.. 201

حلومة التجاني/ البعد النهضوي في السرد القرآني 217

محسن بن حمود الكندي/ جدلية الجذور والحضور وملامح الهوية في تجربة الشعر العماني الجديد سيف الرحبي نمودجا 229

سعيدة كحيل/ أخطاء الترجمة 246

مجاجي علجية/ صورة الإسلام في العصور الوسطى عند الأوروبيين وتأثيرها في الكوميديا الإلهية 272

عبد الغني عكة/ التسوية المالية للصفقات العمومية في ظل المرسوم الرئاسي رقم 10- 236 المؤرخ في 7 أكتوبر 2010.. 287

نعيمة بوزيدي/ التناص في شعر ابن الرومي 318

فهد سالم خليل الراشد/ مسائل معني اللبيب لابن هشام "نظرة إحصائية تطبيقية" 330

حفصة بعلي الشريف/ دراسة دى انسجام اختبارات مادة العلوم الطبيعية في البكالوريا منهاج جوان 1995م مع مستويات الأهداف المعرفية للمقرر الدراسي 377

محمد السعيد عبدلي/ الرواية الجزائرية بين تقديس الماضي وتدنيس الحاضر....... 403

فيلالي فريال/ الترجمة ونقل الرسالة من لغة الانطلاق إلى لغة الوصول 413

مسعود طيبي/ الأخلاق بين العاطفة والعقل عند جون جاك روسو 420

فوزية سرير عبد الله/ مدرسة النحاة الصوتية سيبويه وابن جني أنمودجا 429

الطاهر توات/ ابن عميرة والكتابة الإنشائية 449

جدلية الجذور والحضور وملامح الهوية في تجربة الشعر العماني الجديد
سيف الرحبي أنموذجا

محسن بن حمود الكندي

الملخص

في ظل أشكال التغريب التي تطرحها التجربة الجديدة في القصيدة العربية المعاصرة، تقدم هذه الورقة قراءة مغايرة لهذه الفكرة عبر تجربة الشاعر العماني سيف الرحبي الذي يعدّ قطبا من أقطاب الحركة الشعرية الجديدة في الوطن العربي ، وهي فكرة نحسبها رائدة، فالشاعر سيف الرحبي بحضوره الكمي والكيفي في الشعر العربي المعاصر يشكل سؤالا محوريا حول أشكال الهوية المعادل الموضوعي للتغريب، فهو عبر تجربته الطويلة ينساق في كثير من مراميه إلى مغايرة أشكال السائد والمألوف بخصوصية تكاد تكون واضحة المعالم تعبر عنها أنماط التناصات الاجتماعية والثقافية والتاريخية التي يوظفها في شعره .... فهل هذه الهوية التي تطرحها تجربة سيف الرحبي الشعرية فقط ؟ !.

إن الهوية التي تطرحها هذه الورقة تحديدا تتعلق "بالتفاعل الحيوي بين الإنسان الشاعر وبيئته، وتاريخه، وثقافته، إضافة إلى إعلان هذا الإنسان عن بقائه وسط ما يحيط به من مفردات تميزه عن غيره. إنها محصلة الرغبة الإنسانية الدفينة في التفاعل الحميم مع الحياة، وملء فضاء اختلافها بألفة الوجود، وهي في مقام آخر جملة التفاصيل التي يرسمها الشاعر على جسد الأشياء الخارجية لتحقق مآرب أحلامه ورؤاه... إنها بشكل عام الانتماء إلى عالم الكون والوجود والإنسان". وعلى ذلك وقفت الورقة مليا على مظاهر من ذلك التفاعل بمنهج موضوعاتي يعني باكتشاف ثيمات الظاهرة وتحليليها، ويؤول — من جانب آخر - إلى البحث في مكامن التميز المحيلة إلى الهوية من خلال

النص الشعري. إن تجربة سيف الرحبي الفريدة استطاعت أن تقلب معيار توظيف هذا التراث، فأصبحت الأغاني الفلكلورية، والفنون الشعبية، والألعاب، والحرف، والأشعار، وأسماء الأماكن والجبال والديار والمناطق رموزا تتخاطر بكثافة لتشكل جوهر النص الشعري بعدما كانت مستبعدة من خطاب الشعر الموزون المقفى أو قل خطاب القصيدة التقليدية بشغفها وهيام بالإيقاع الرنان ولغتها المباشرة. لقد تمكن سيف الرحبي - وهو شاعر التجربة الجديدة في عمان الأكثر حضورا - أن يعيد لهذه الفنون والآداب التراثية هويتها أو خصوصيتها، بل و قيمتها الاعتبارية ويجعلها جزءا لا يتجزأ من كيان القصيدة ، إن لم تكن جوهرها الأصيل ومنظومتها الفنية، وفي المقابل تمكن هذا الشاعر بواسطة توظيفه للتراث من نقل صورة مجسّمة لأرجاء وطنه العماني الممتد من الخليج العربي شمالا، وحتى المحيط الهندي وبحر العرب جنوبا، مرورا بالصحراء الواسعة والجبال الشاهقة والأرخبيل المغلق (مضيق هرمز)؛ حيث رصد تفصيلات البيئة المحلية والتراث، فاستمع إلى تناغم اللهجات الإقليمية من "شحرية" إلى "شحية" إلى "صورية"، وإلى نداءات الباعة في أسواق مطرح وصحار وصور وظفار، كما طرب لأغاني البحر، وتغنى "بشلات" البر، وتعرف على ألعاب الصبية وحكايا الفتيات، وانتشى بعبق البخور، وبالقهوة العمانية، واحترق بوهج الشمس في رمال "بني وهيبة" وصحاري "الربع الخالي" وجبال عمان، الراسمة في ذهنه لوهج السحر والساحرين. إن هذه الورقة تعتمد على استنطاق النص والبحث في شعريته المؤصلة لهذه الثيمة في تجربة سيف الرحبي بعيدا عن ألق التفسيرات المسقطة على تجربته.. إنها في اعتقادنا لب تجربته وعمقها، وهي فكرة أصيلة قلما تضخ بها تجربة شعرية معاصرة ". لقد تعامل الرحبي مع هويته بوعي، فأحال مفرداتها إلى مصهر إبداعي راح يذيب فيه كل العناصر المتباعدة والمتقاربة ليخلق منها مادة شعرية جديدة مليئة بأشكال الحنين والتوق الجارف إلى التلاقي تزينها في ذلك صوره المركزة ولغته الشفافة المتناهية التي بفعلها لم تعد مفردات الهوية تدل على ماهيتها المعتادة، بل على كيان الشاعر وشخصيته وروحه.. إنه بمعنى آخر يذيبها في ذاته فتومئ إليه شخصا صميميا وأصيلا وعريقا كعراقة مفرداته وأسلوبه ... أليس الأسلوب هو الرجل كما قال الأقدمون" ..

"Abstract"

Identity and heritage in Saif Al Rahbi's experience

This papers highlights the new themes in the trend of modern poems through the experience of one of the famous Omani poets and through the kinds of distinguish in the modern poems. This poet is "Saif Al Rahbi" who is concerned to be one of the biggest names in the Arabic world. I think the concept of using identity in the poetic text is new in presenting it because Saif Al Rahbi has qualitative and quantitative presence in the Arabic poems. In addition, his poem creates an important question in the shapes of identity.

Identity means, here, the interaction between poets, their environments, their histories, and their cultures as well. From this base, this paper will try to analyze these themes from the texts where they were found in. In addition, this analysis will be away from the external factors and away from general interpretation.

Saif Al Rahbi's experience succeeded in changing the concepts that creates identity. Folklore songs, traditional dances, games, crafts, names of places, mountains are all symbols which interact effectively in his poetic texts.

Moreover, this paper is analytic which aims to show the themes of the text that shapes identity and heritage and to show the magnificence of creativity in this poetic texts.

نقصد بالهوية تحديدا ذلك التفاعل المهم بين الإنسان الشاعر وبيئته، وتاريخه، ثقافته، إضافة إلى إعلان هذا الإنسان عن بقائه وسط ما يحيط به من مفردات تميزه عن غيره. إنها محصلة الرغبة الإنسانية الدفينة في التفاعل مع الحياة، وملء فضاء اختلافها بألفة الوجود، وهي في مقام آخر جملة التفاصيل التي يرسمها الشاعر على جسد الأشياء الخارجية لتحقق مآرب أحلامه ورؤاه... إنها بشكل عام الانتماء إلى عالم الكون والوجود.

من هذا المنطلق فإن محاولة الكشف عن هوية الشعر العماني الجديد تؤول بشكل أو بآخر إلى محاولة بيان الصلة الحضارية التي تربطه حاضرا أو غائبا بكافة خصوصياته ومرجعياته سواء على المستوى المحلي أو العربي أو

الإنساني؛ ولهذا فإن اكتشاف هذه الهوية يعني اكتشاف التميز والمغايرة، واستيضاح الشخصية الإبداعية التي ما انفكت تعبر بصدق عن همومها الذاتية مستندة في ذلك إلى عالمها الشعري الفني، وفكرها الجوهري الخلاق. هذه المحاولة تبدو صعبة؛ وذلك يرجع إلى ما تمنحه ذائقتنا الفنية من اختلافواضح لم يحسم بعد مع سمات النص الجديد، والذي يتورط بعضنا في فهمه فهما مغالطا، إلا أن سمات الهوية تمنحه تميزا بما يتسق وحميمية العلاقة بين مرجعية الموروث، وخصوصية الذات التي تتعامل مع هذه التجربة الفريدة، مما يرفد في النهاية مسوغات المشروعية التي نستند إليها حينما نقول : شعرا عمانيا جديدا.

إن هذا الشعر – من جانب آخر – يطرح أسئلة كبيرة على مستوى التلقي ، لكنه مع ذلك يفرض لنفسه كيانا أدبيا محضا سرعان ما يمتزج بمسار التحولات التي تعيشها وتنجزها القصيدة العربية الحديثة ابتداء من مجلة " شعر"، وحتى "كلمات" و"نزوى" المعاصرتين، ناهيك عن بيانات الحداثة التي تطلق بين وقت وآخر[2]. وإذا كانت تلك الأسئلة الحائرة قد مثلت في وقت مبكر في بلادنا جزءا رئيسا في مسار الحركة الأدبية/ الثقافية، فإنها بلا شك نهضت بهذه القصيدة، وفتحت مجراها محكومة بالاندفاع والانكفاء، والقوة والطموح، وخلقت جيلا من الشعراء مستندين إلى مرجعيات الهوية؛ هذه الهوية التي يرجع البحث فيها إلى سطوة النص وكيانه، وهو لا يستمد إبداعاته إلا من جهة كونه كيانا تاريخيا .. إنه يفتح مجراه مأخوذا بقديمه وماضيه منشدا إلى ذاكرته، متواصلا معها، مما يخلق شيئا من التغاير بعد مرحلتي الصهر والحرق الضروريتين لتلك المغايرة.

لا نريد هنا أن نطرح تنظيرا للتغاير أو مكمن الهوية، بل حتى للحداثة نفسها، بقدر ما نريد أن نستحضر كواشف التجربة على مستوى القيمة الفنية التي تحفل بها ، فالمراهنة الحقيقية على ما تقدمه هذه التجربة من تكوينات لا على ما تحتويه من فوارق وتشظيات قد توجد فيها حينما يختلط في مفهوم الحداثة الحابل بالنابل، فغدا باستطاعة الكثيرين أن يركبوا غمار هذا السهل الممتنع ... في هذه المساحة الحرة تتجلي كواشف التجربة بما تقدمه من علاقات

أزلية مع واقعها الذي تقوم عليه؛ خاصة إذا ما عرفنا أن هذا الواقع بات ممتلئا بفضاءات التمرد والرفض لا بالمعنى الخاص، وإنما بالمعنى العام الذي يجعل من شعراء التجربة شعراء إصلاحيين/ تنويريين، وظفوا جلّ إبداعاتهم نحو الواقع بروافده المختلفة ، أدبية كانت أم ثقافية عامة، فقدموا بذلك رسالة مهمة للمجتمع أشار إليها عبدالله الطائي في مجمل حديثه عن الشعراء المحدثين[3] ولهذا فقد بات من الواضح أن نصوص هذه التجربة على كافة مستوياتها كانت تقلب نظم الأشياء والعلاقات والقيم وتسخرها نحو خدمة أهدافها وتطلعاتها، مما جعلها – في النهاية – موصولة بحلم الإصلاح والتنوير، وبناء ذائقة جديدة في النص الشعري تطمح إلى الرقي الفني سواء أتم ذلك بصورة مباشرة أم غير مباشرة، صورة تفيض بالتجربة في بعديها الداخلي والخارجي على حد سواء، فتتناغم وتتصادم مرات كثيرة مع النفس والواقع مشكّلة بذلك موقفا فكريا ثابتا يتردد صداه بأنماط وصور مختلفة، وتتسرب مضامينه بصورة واعية، أو غير واعية في أنسجة النصوص الشعرية لتكون المحصلة رؤية الذات لهذا العالم الذي تحاوره ؛ ولذا كانت جميع خيوط هذه المضامين مشدودة بسلسلة من العلاقات المركزية ومرتبطة بما يسمى "البؤرة الارتكازية للنص" وهذه – في حد ذاتها – رسالة تمر من خلالها هذه العلاقات فتتلاقى وتتقاطع باتجاه حركة التغيير الذي يمثل الحلم الدائم للذات الشاعرة في تخطي الواقع ومغايرة المألوف والسائد بصورة تعتمد على فك العلاقات بين نظام الأشياء وإظهارها بروح الشاعر لا بروح الواقع .

من هذا المنطلق وحده يمكن الدخول إلى التجربة الشعرية الجديدة في عمان ممثلة في هويتها المحلية الغارقة فيها حتى الثمالة وما مفرداتها التي حملت لواء التنوير إلا ضرب من ضروب هذا الكيان الشعري الذي وضع بصمت بصمته في خارطة الشعر العربي الحديث .

أولا : التراث ملمح الهوية في التجربة الشعرية العمانية (مدخل نظري)

لقد تمكن الشاعر العماني المجدد من خلال توظيفه التراث من التأكيد على هويته المحلية والعربية، وتجلى ذلك في اتكائه على تراثه العريق وبخاصة رموزه

وأحداثه وتاريخه وتقاليده وقيمه وأدبه الشعبي، وحكاياته، وحرص على توظيفها فنيا فيما يخدم النص الشعري، كما لم ينس قضايا أمته فتفاعل معها، وغرق في همومها معتمدا في ذلك على آليات الرمز التي تزخر بها البلاغة العربية منذ القدم، وهذا في حد ذاته اعتراف بالقيمة الاعتبارية للتراث المكمل للهوية، ومن منطلقه استحالت كثير من قصص الحب والعشق - على سبيل المثال - في النص الجديد إلى ظواهر وطنية سياسية عزف عليها الشاعر، فتحولت المحبوبة إلى وطن منحه كل الحب والوفاء.

وقد كان لتوظيف الشاعر العماني المجدد للتراث ممثلا في بعده البيئي دور في التأكيد على الالتصاق بالأرض والوطن، فغدا الحديث عنه من خلال طقسه ومناخه وتاريخه وقلاعه وصحرائه وأشجاره وكثبانه وجباله ونخيله وواحاته وأفلاجه ضربا من ضروب الانتماء التي حرص عليها ووجه رسالته إليها. كما استطاعت هذه التجربة أيضا أن تقلب معيار توظيف هذا التراث، فأصبحت الأغاني الفلكلورية، والفنون الشعبية، والألعاب والحرف، والأشعار رموزا تتوالى بكثافة لتشكل جوهر النص الشعري بعدما كانت شبه غائبة من خطاب الشعر، أو قل خطاب العلم والمتعلمين.

لقد تمكن شاعر التجربة الجديدة في عمان أن يعيد لهذه الفنون والآداب التراثية هويتها أو خصوصيتها بل وقيمتها الاعتبارية ويجعلها جزءا لا يتجزأ من كيان القصيدة، إن لم تكن جوهرها الأصيل ومنظومتها الفنية، وفي المقابل تمكن هذا الشاعر بواسطة توظيفه للتراث من نقل صورة مجسّمة لأرجاء وطنه العماني الممتد من الخليج العربي شمالا، حتى المحيط الهندي وبحر العرب جنوبا، مرورا بالصحراء الواسعة والجبال الشاهقة والأرخبيل المغلق (مضيق هرمز): حيث رصد تفصيلات البيئة المحلية والتراث، فاستمع إلى تناغم اللهجات الإقليمية من " شحرية " إلى " شحية " إلى "صورية"، وإلى نداءات الباعة في أسواق مطرح وصحار وصور وظفار، كما طرب لأغاني البحر، وتغنى "بشلات" البر، وتعرف على ألعاب الصبية وحكايا الفتيات، وانتشى بعبق البخور، وبالقهوة العمانية، واحترق بوهج الشمس في رمال "بني وهيبة" وصحاري

"الربع الخالي" المكونة في حقيقتها فضاء منقطع النظير، وأكثر من ذلك وقف هذا الشاعر وقفة المتأمل من قضايا وطنه وتاريخه وأساطيره التي أدهشته، فوظف أفكار السحرة والمغيبين واتخذ أفكارها ثيمة من ثيمات نصه الذي حمل أبعادا وجدانية عميقة، وأكثر من ذلك التفت إلى التاريخ التفاتة العاشق، فغدت "زنجبار بمجدها التليد أفقا يخاتل مخيلته، ويدفع بها لا إلى الحزن والندم كما فعل الشاعر التقليدي، وإنما إلى الرمز والتحليق والإيماء والفخر والاعتداد. لقد جلّى الشاعر أغلب هذه المعطيات، وأسهم نصه الجديد المتجدد في تنويع ثقافة القارئ وإيصاله بجذوره، حيث عمل على إيجاد نمط خاص من القراءة تحيل إلى الثقافة في أدق تفاصيلها، وما هي إلا ضرب من ضروب التناغم مع الحياة التي لا تحتمل إلا بسلاح الثقافة، فالنص الجديد نص ثقافة وكاتبه مثقف لا محالة، وبذلك يحرص هؤلاء القراء على تطوير أدواتهم الثقافية بغية الوصول إلى مكامن التجربة التي لم تعد معانيها في مبانيها أو ببطن مبدعيها، وإنما في عقل قرائها ومتذوقيها، إنهم بذلك يعيدون قراءة النصوص ويكسونها ثوبا أكثر نضارة وإشراقا.

إن توظيف التراث من المراحل المتقدمة في بنية النص، ولهذا فهي مرحلة تتجاوز أنماط بعثه واستلهامه إلى التعامل معه فنيا، بحيث تنعكس رؤية الشاعر المجدد على عناصره التراثية التي تعيد خلقها وتشكيلها وفقا للواقع الجديد، والمعطى الأجد، إنها معادلة متغيرة الأطراف تزداد فيها الثوابت بزيادة المتغيرات، فشاعر هذه المرحلة يوظف التراث بقدر ما يأخذ منه، ويحاول أن يرفده بدماء جديدة، فتصبح عناصر التراث ذات صورة مغايرة تماما وكأنها من نسج عالم ملئ بالكلمات المتقاطعة. إن تجربة الشعر العماني الجديد جزء لا يتجزأ من صميم تجربة الحداثة في الشعر العربي؛ ولذا فهي مرشحة في نظرنا أن تكون مجالا للتأثير مع بعض التجارب الوليدة المقتفية للنهج الحداثوي، وأن يظهر نتاج ذلك على شكل محاكاة أو تعالق أو تناص يأخذ فيه فريق من الشعراء بلباب فريق آخر فيما يسمى بعلاقات الأشباه بالنظائر، وأن يكون للشعراء العمانيين أشكال مماثلة منسجمة مع نظرائهم العرب الذين قد تكون تجاربهم أكثر قدما أو انفتاحا

على المستوى الثقافي والاجتماعي مع وعي كبير بالخصوصيات المكملة للهوية، لا المشكلة لخصوصية الآخر، أو المجسدة للرافد الغربي المتدفق بقوة في فضاء القصيدة العربية. هذه بعض ملامح التراث المنبثق من الهوية في بعدها التظيري. أما في بعدها التطبيقي فنلقاه في واحدة من التجارب الغنية الخصبة... إنها تجربة الشاعر سيف الرحبي، هذا الشاعر الذي " بلغ بالشكل الشعري مرحلة رفيعة من التطور والنضج على مستوى أبنية المضمون واللغة والإيقاع"[4].

ثانيا : التراث ملمح الهوية في التجربة الشعرية العمانية (مدخل تطبيقي)

إن تجربة سيف الرحبي بغناها الكمي (سبعة عشر إصدارا تقريبا) والكيفي (الانتقال بالنص إلى فضاء الحياة) تحتاج إلى أكثر من دراسة مستفيضة كما يرى الدارسون، ولكننا هنا نحاول أن نقف عند ظاهرة التراث المستوحية للهوية العمانية في أدق تفاصيلها من خلال دواوين شخّصت عناوينها هذه الظاهرة بامتياز، ومن ذلك "الجبل الأخضر" و"رجل من الربع الخالي" و"جبال"، ناهيك عن عناوين كثير من القصائد التي تنحو منحى الهوية العمانية بعبقها ورونقها، من مثل : "سليمة الأزدي" و"وبورتريه سرور" و"بيتنا القديم" و"قصيدة حب إلى مطرح" وغيرها إضافة إلى إهداءاته المتوسلة خصوصية الذات وحميمية المناسبة.

لقد تعامل الرحبي مع هويته بوعي، فأحال مفرداتها إلى مصهر إبداعي راح يذيب فيه كل العناصر المتباعدة والمتقاربة ليخلق منها مادة شعرية جديدة تزينها في ذلك صوره المركزة ولغته الشفافة المتناهية التي بفعلها لم تعد مفردات الهوية تدل على ماهيتها المعتادة، بل على كيان الشاعر وشخصيته وروحه.. إنه بمعنى آخر يذيبها في ذاته فتومئ إليه شخصا صميميا أصيلا عريقا كعراقة مفرداته وأسلوبه ... أليس الأسلوب هو الرجل كما قال الأقدمون ..

لقد صبّ الرحبي هويته المحلية والعربية في نصه وأخلص لها إخلاصا كبيرا، ويظهر ذلك في غير واحد من نصوصه التي نختار منها المقطع التالي :

حين تمددت لأول مرة على شاطئك

الذي يشبه قلبا نبضاته منارات

ترعى قطعانها في جبالك الممتدة عبر البحر
أطلق بين مقلتيك منجنيق طفولتي
وأصطاد نورسا تائها في زعيق السفن[5]

لم يعد في هذا المقطع فارق يمكن ملاحظته بين مفردات الهوية المحلية المشكلة للذات الشاعرة (الشاطئ، السفن، المنارات، الجبال، القطعان، النوارس ...) بل امتزجت هذه المفردات بهوية الطفولة البريئة حينما تذكرها الشاعر بشغف امتزج برغبة الحنين الجارف للماضي الساحر الخلاب حينما كان " يطلق بين مقلتيه، ويصطاد نورسا".

ومن جانب آخر فالصورة في هذا المقطع توغل بالمكان من حدود المادة إلى آفاق الوجدان، فالمكان هنا (مطرح) يفقد خصوصياته المادية (شاطئ/سفن) ليكسب خصوصيات جديدة مستعارة من حقل الوجدان والروح، فإذا المدينة قلب نابض ومقلة، وهي مكونات تأتي تعويضا لأخرى مثل المنارات والشواطئ والنوارس والسفن، وبهذا المعنى يخرج المكان من دائرة الحياد الشعري، بل من دائرة الوجود الخارجي الموضوعي ليصبح مكونا أساسيا (قلب/ مقلة) من مكونات الذات الشاعرة. هذه الصورة محكومة بهاجس الحنين، وهو حنين إلى الطفولة، وإلى مدينة مستلة من الذاكرة؛ لذلك لا يبقى من مطرح الواقع إلا النوارس والسفن رموز الحلم والتحول الدائم المستمر.

يلجأ الشاعر من خلال ذلك إلى تأكيد الانتماء الذي هو لحظة حالمة مستشرفة يتشكل منها المهاد والأبعاد عبر ابتعاث للماضي النابض بالهوية، هذا الماضي يكمن في ملامح من قريته سرور، حيث وداعة الحياة، وفطرية الطبيعة تؤديان دورا في صياغة الفعل الإنساني الجامح، يقول وقد تلبست ذاته ذكرى "زعيق الحطابين" و"مراصد الصبية " و" شجرة الفرصاد " و"ضفدع السواقي :

شجرة الفرصاد الأولى في قعر دارنا
أتذكرها الآن
سماء عصافير يجفل فيها الغيم
مراصد الصبية في مضارب الظل

وهناك أيضا ضفدع السواقي
وزعيق الحطابين
حين تحفر الظهيرة مآتمها في الصخر [6].

يقدم هذا المقطع تأكيدا على الانتماء للمكان من خلال تحديد البؤرة المركزية للمشهد " قعر دارنا " الموحية بعمق العلاقة بين الذات الشاعرة ومفردات الهوية المحلية من طرف، وبينها وبين ذاكرة الماضي وفعل المكان من طرف آخر، ولهذا فمتعة المشهد في استقصائه تفاصيل المكان الذي يعيد إلى الذات تفاصيلها في مشهد نابض بالحيوية مفعم بالنشاط، وهذا يتضح من خلال استيحاء الشاعر لمشاهد واقعية مستقاة من نمطية الحياة في القرية حيث عادات الصبية في اصطياد العصافير، وعودة الحطابين، ونقيق الضفادع في سواقي "الأفلاج" في ليلة شتوية باردة، كل هذه المشاهد تعيد الهوية إلى ذاتها وتجعل الشاعر يعيش ماضيه في حركة ارتدادية محسوبة ومؤطرة وكأنه ابن ماضيه لا حاضره، وقد ساعده في ذلك امتلاء الذاكرة بالأشياء الهامشية والثانوية وغير المحسوسة، ولا شك في أن تشبع المكان/القرية بكل تلك التفاصيل عمل على حل أزمة الذات الشاعرة، مع زمن اللحظة الشعرية بتطهيرها وتحريرها، فاستعادت صفاءها ورونقها، ولو إلى حين حسبما تورد نظريات علم النفس في هذا المقام.

وفي مستوى الصورة يرسم السطر الأول من النص الفاصل بين بناء الصورة الشعرية ومرجعيتها، فالنص قائم على التذكر، وهو عودة من الأنا " الحاضر إلى الماضي .. الصورة مجتثة من تفاصيل مضت في الواقع، وظلت ثابتة في مخيلة الشاعر كالوشم، وهي على بساطتها : الدار – مراصد الصبية – مضارب الظل – شجرة الفرصاد – ضفدع السواقي – الحطابون – تحيل على توق نفسي من الشاعر إلى هذا العالم البسيط الذي افتقده منذ الطفولة، كأنه يعلن الرغبة في مغادرة واقع التعقيد الذي يعيشه عبر السفر شعرا وخيالا إلى مرابعه الأولى حيث الحياة تتدفق ببساطة وتألق.

ثالثا : ملمح السؤال الحائر وإشكالية الهوية

تلح على الشاعر بين وقت وآخر عديد من الأسئلة والأطروخات هي نتاج مراهنته على الواقع الذي حكم ذاته، فوجد نفسه محاصرا بطوق الهجرة والترحال الدائم ابتداء من لحظة الوعي الأولى حينما وجد نفسه في بلاد "العالي" مغتربا، وانتهاء بالهجرة النفسية التي يترجمها سؤاله التالي :

كل صباح
حين تستيقظ من نومك الملئ بالمذابح والأحلام
تسأل نفسك عاما بعد عام
أمام أرض صماء وأرخبيل مغلق
منذ ستة وعشرين عاما
ماذا تفعل في هذه البلاد ؟[7].

تطفح الصورة بنفس ساخط على الواقع الموجود، واقع حرص الشاعر على تحديده زمنيا بستة وعشرين عاما ليؤكد فضه له في النوم واليقظة، والعجيب أن الحلم في هذا المقطع تحول إلى جزء من الحقيقة، فالشاعر وهو يستيقظ إنما يتحول من عالم المذابح إلى عالم الأرض الصماء والأرخبيل المغلق، السؤال الذي يغلف النص يعيده في الحقيقة إلى منطلقه حيث القلق الفائض الذي يحكم علاقة الشاعر بالمكان، وما هي إلا برهة حتى تتحقق للسؤال التعجبي إجابته التقريرية المقنعة (أرض صماء، وأرخبيل مغلق).

إن موضعة السؤال الحائر تبدو واضحة وفيها يتحول الشاعر إلى عالم الرومانسيين التائهين، الساخطين، الضائقين ذرعا بواقعهم، الرافضين كافة البنى السائدة والمكرسة فيه لما تنطوي عليه أحلامهم من آمال كبار ربما لم تتحقق، إلا في ظل مثالية بعيدة المدى، كما أنه في كثير من الأحايين باحث عن حضن دافئ يلبي طموحه، ويحقق رغباته، فيجد في السفر والهجرة والترحال ثيماته المفضلة باستمرار، كما يجدها في مقام آخر في حضن أمه حينما ألقى نفسه فيه في محاولة للإنقاذ والمكابدة، وتمتد جذور ذلك القرار الخلائصي -

إذا صح التعبير- إلى القصائد الأولى التي كتبها في أواسط السبعينات وكانت الأم فيها مرادفا للمكان حيث الصرخة الأولى والحلم الدائم. يقول :

أيها الوجه السماوي المضمخ بحنان الآلهة
يا حقل الصلوات ودموع القديسين
يا وجه أمي

....

وداعا يا أمي
ويا أيتها الذنوب المقدسة
احتضني أشجار قلبي
وخذيني إلى رحمك الملعون[8]

هذه الكثافة من النداءات التي تحفل بها لغة الشاعر هي التي يستعيد بها ذاكرة الصور المفتقدة، وبدلا من أن يلتفت وراءه كي يرى مشاهدها راح يطيل النظر في ظلها سعيا منه إلى إعادة خلقها خلقا فنيا عبر مفردات التغريب والترحال التي أدت دور المجلي لغبار الزيف عن كل صورة من الصور البريئة وخاصة صور الطفولة، ويعيد إنتاجها كل مرة على نحو يتناسب مع مفارقات اللحظة الراهنة من تجربة الشاعر المعيشة، إنها إعادة خلق وتفكيك لمشاهد كامنة في النفس تكون اللغة إحدى معاولها حرثا وسقيا وتقطيعا لتكون المحصلة إنتاجا وفيرا نلمسه في قوله :

بعد قليل ستجتاز البوادي نحو الأحلام
ستجتاز حاجز السحرة
ورافعات الجبال الأسطورية
لكن الحافة لا تنتهي إلا إلى أعماق الهاوية
والقافلة تتلاشى
خريف يمر ومدن تتشظى[9]

في هذا المقطع نجد أن الحالة الشعرية المسيطرة عليه محصورة ملامحها في عدد من الدلالات تتمثل الأولى في الضمير المتصل بالفعل المضارع (سنجتاز) وما يعود عليه من أحوال وصفات (الجبال الأسطورية، أعماق الهاوية) وهذا الضمير يؤول بشكل أو بآخر إلى دلالة الفعل (نجتاز) الموحي بتخطي الواقع، والقفز عليه، وكسر عزلته، وتحرير راهنه، إنه بمثابة الرؤية للعالم كما يسميها جولد مان، أو بمثابة أصداء لحالة الذات الشاعرالحالمة في عزلتها ومعاناتها، وتفاعلها مع المحيط (الواقع/ المدينة / العالم) كما يوضحها النص، وتترجمها مقاطع أخرى من مثل قوله :

بين النوم واليقظة
بين الصحو والمطر
كان يمضي حمار جارنا القديم
الذي أتذكره الآن تحت شجرة التين
عائدا من أسفاره السعيدة بين البندر والقرية
كان يمضي القيلولة تحت الشجرة المثقلة بالظهيرة والعصافير
ناعسا وعلى رأسه تاج من الذباب
لا يتذكر شيئا[10].

في هذا المشهد التصويرى/ التذكري الحالم بالاسترجاع وبوقع المكان، تتحول مشاهد الهوية من رؤية طبيعية إلى التقاطات لأشياء صغيرة وهامشية هي في حد ذاتها مكونات الطفولة والقرية والمجتمع القروي، ويتسنى للذات الشاعرة من خلالها تحقيق ما ألح على النفس من تذكر وحنين وشغف بالماضي والتوق إلى تلك البراءة التي تترجمها مفردات (البندر – القرية – الحمار – شجرة التين - الجار القديم)، والشاعر يعتمد في طرحه لهذه المفردات على حالة التشابك والانصهار بينها وبين تداعيات الذات وتحولاتها الشعورية، حتى غدت أفعالها منسجمة مع خصوصية الواقع المشكل للهوية والتراث، وحين تم ذلك الانصهار استفاقت تلك المشاهد على تبدلات الزمن وفعله فيها فما كان من

الشاعر إلا أن يفيق أيضا بعد أن راقب وتوحد واستفز عواطفه، وكأنه يقول: إن للزمن دورا في التغيير، ويتحقق ذلك إذا ما عرفنا أن تلك المشاهد تتراءى للشاعر وهو " بين النوم واليقظة " أو بين الصحو والمطر، فكان نتاج ذلك العودة والرجوع كما يعود ذلك الحمار متعبا من أسفاره البعيدة أو السعيدة كما يسميها الشاعر.

لقد راحت الصور تعبر عن تلك الهوية دون الإحالة إلى تفاصيلها بشكل مباشر، فجاءت كما في المشهد الواقعي تقبع في مكونات قصتها السردية وكأنها حكاية من فصل منته، إلا أن رمزيتها جعلت منها المعادل الموضوعي للحظة الراهنة التي لم يعد لها مناخ ولا صيغة تستوعبها في إطار مكابدة الشاعر وصراعه مع الغربة. بهذا الشكل الثري صار الرحبي يبلور رؤية شعورية وفكرية أصيلة في تجربته الشعرية؛ رؤية تتأسس على الغربة العميقة التي تسحق ذاته، فيجعل من الواقع رمزا، ومن الرمز واقعا، ينأى بنفسه وتجربته عن مآزق الانفلات بكل صوره وأشكاله، ولهذا صار ملمح الهوية لديه مركبا من تلك العناصر والأشكال والأماكن التي امتزج دمه بها، يتراءى ذلك في المقطع التالي الذي يتساءل فيه في لحظة استشرافية حالمة، إنها ملمح السؤال المكون للهوية، يقول:

أي الأماكن كانت مستقرا ؟
أي طفولة كانت لك ؟
وبأي زمن رميت سهامك في عيون الفجر ؟
فسقطت عصافير الأبدية
لا تتذكر شيئا
لا تنسى شيئا
مشدودا إلى وتر الجبال
تمشي مغمض العينين
في طرقات مليئة بالذئاب"[1].

إن النفس الشعري في هذا المقطع محكوم بهاجس الغربة بل الاغتراب ، وهو ينهل من التجارب الأصيلة في هذا المستوى، فتسمع عبره صوت أبي العتاهية ، يطلب المستقر بكل أرض، فلا يجد له بأرض مستقرا، وعلى هامش هذه الغربة تفقد الأشياء الأصيلة جوهرها ، فيصبح كل الكون فراغا مريعا، تفقد الطفولة معناها، وكذا الفجر والعصافير، وكأن هذا الإنسان الغريب منبت، مجتث، لا جذور له، لا طفولة له، لا أفكار، لا عصافير، والأفظع أن الغربة التي حرمت الشاعر هذه المكونات الحميمية قد أهدته بمقابلها وحشة في دروب تملؤها الذئاب، صورة الفاجعة، وقد تجددت في أصالتها؛ إذ لا يخفى ما في عمق هذه الصورة من أنفاس الملك الضليل وهو يتآلف صوتيا مع الذئب في الأودية المقفرة، والرحبي هنا لم يكن سوى خليع الطفولة الذي استعاض رغما عنه دفء الماضي في الغربة بثلج الوحدة في المدينة.

رؤية التطلع – إذن – في هذا المقطع تحكم رؤية الشاعر (سهامك في عيون الفجر ... مغمض ... مشدودا) كلها رموز أفقية لحالة واعية بالغربة، حيث يتصدر الزمان من خلال الطفولة، والمكان، من خلال القرية، حالته تلك.. إنها مكونات تدمي قلبه فيشتاق إليها.

هذا هو سيف الرحبي شاعر يجمع تفاصيل الواقع[12]، وينسجها في خيط يشكل منه بعدا أثيريا محببا إلى النفس، أي نفس، دون أن يلجأ كثيرا إلى أدوات البلاغة الرتيبة، وهذا هو الشعر الجديد أفق بلاغي حميم يخلص له الشاعر فيحوله إلى صدمة ودهشة وترقب، إنها بلاغة الصدمة كما يقول إدريس بلمليح[13].

المراجع والهوامش التوضيحية

1 - سيف بن ناصر الرحبي شاعر مجدد من مواليد قرية " سرور " بولاية سمائل عام1956، و يُعدّ امن أكثر الشعراء حضوراً في تجربة الشعر الجديد في عُمان، كما أنه مشارك نشط في كافة الملتقيات والفعاليات الثقافية والأدبية، وقد اكتسب هذه المكانة جراء أسفاره وتنقلاته في المدن العربية والأوروبية. يغلب على شعره توظيف الذاكرة المحلية توظيفاً فنياً، مما يجعل تجربته ذات خصوصية عمانية متفردة. ويحسب للرحبي - بجانب موهبته الإبداعية المتميزة — أنه أرسى دعائم التواصل الثقافي لثقافة بلده عمان مع بقية الأقطار العربية والأجنبية عبر مجلة نزوى الثقافية. صدرت له الدواوين التالية :

. نورسة الجنون ، ط1 ، ب.م، دمشق، 1981.19 قصيدة.

. الجبل الأخضر. ط1 ، مطابع ألف باء. دمشق، 1983.(131 ص)، 5 نصوص.

. أجراس القطيعة، ط1 ، ب. م. باريس، 1985. 26 نصا.

. رأس المسافر، ط1 ، دار توبقال، المغرب، 1986. (55 ص)، 27 نصا.

. مدية واحدة لا تكفي لذبح عصفور، ط1 ، منشورات اتحاد كتاب الإمارات، 1988. (59 ص). 30 نصا.

. مدية واحدة لا تكفي لذبح عصفور، ورأس المسافر، ط2، المطبعة الشرقية ومكتبتها، سلطنة عُمان، 1988 ، 117 ص، 54 نصا .

. رجل من الربع الخالي، ط1 ، دار الجديد، بيروت، 1993 ، (73 ص). 28 نصا.

. جبال، ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1996 ، 94 صفحة.31 نصا.

. معجم الجحيم، ط 1 ، دار شرقيات، القاهرة، 1996 ، (319 ص). 66 نصا.

. يد في آخر العالم، ط1 ، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 1998 ، (96 ص). 18نصا .

. الجندي الذي رأى الطائر في نومه، ط1 ، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، 2000. 32 قصيدة

- مقبرة السلالة، ط1 ، منشورات الجمل، كولونيا، المانيا، 2000 .

- قوس قزح الصحراء، ط1 ، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، 2003 ،(14 نصا، 144 ص).

- بعصا الأعمى في ظلام الظهيرة أو رجل من الربع الخالي(مختارات) : سلسلة آفاق عربية، ط1، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 2004، (46 نصا، 279ص).

2 - بيان الحداثة لأدونيس، وبيان الكتابة لمحمد بنيس، وموت الكورس لأمين صالح، وقاسم حداد، البيانات : دفتر كلمات(1)، إصدار أسرة الأدباء والكتاب، البحرين، ط1، 1993، ونشير كذلك إلى تلك المقالات التي نشرت حول جدلية الحداثة ومفهومها وسماتها وهويتها في صحيفة عمان منذ مطلع الثمانينيات وفي جريدة الخليج أيضا.

3 – الطائي، عبد الله محمد : الأدب المعاصر في الخليج العربي، ط1، إصدار معهد البحوث والدراسات، القاهرة، 1974، ص 59 .

4 - الهاشمي، علوي (الدكتور) : في تجربة الشعر العماني الحديث، كتاب فعاليات ومناشط المنتدى الأدبي، ع5 ، 1994، ص265.

5 - " قصيدة حب إلى مطرح " ديوان معجم الجحيم " ط1، دار شرقيات، القاهرة، 1996، ص131.

6 - قصيدة "مقاطع" ديوان رجل من الربع الخالي" ط1، دار الجديد، بيروت، 1993، ص 62.

7 - قصيدة " منذ ستة وعشرين عاما "ديوان"جبال" ط1 المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1996، ص 35.

8- قصيدة " مقاطع "

9 - قصيدة " منذ ستة وعشرين عاما " السابقة ، ص 37 .

10 - قصيدة " حكاية قديمة " ديوان معجم الجحيم " ، ص 237 .

11 - قصيدة " منذ ستة وعشرين عاما " السابقة ، ص 37 .

12 - بالإضافة إلى هذا الجمع الشعري، قام الرحبي بجمع ذاكرة طفولته في كتاب سماه "منازل الخطوة الأولى في أحوال الطفولة والأمكنة والحنين، وقد صدر مرتين انظر الهامش رقم1.

13 - انظر بلاغة الصدمة عند سيف الرحبي، إدريس بلمليح، نزوى، ع6، أبريل، 1996، ص 134.